﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزّمر: 48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ذكرُ جزاءِ العملِ القبيحِ، عَقِبَ ذكـرِ بشاعـة الظّلم الصّريح

لمّا حكَى ﷻ عنِ المشركينَ أنَّهم يفرحونَ عندَ ذكرِ آلهتِهم، ويُظهِرونَ الكراهةَ والاشمئزازَ عندَ ذِكرِهِ تعالى؛ وأكّد أنّه لو كان لهم ما فى الأرض جميعاً ومثلُه معه، لقدَّموه افتداءً لأنفسهم من سوء العذاب، ولكنّه لا ينفعُهم؛ لذلك عقَّبَهُ بذكرِ وعيدِهم، ومِنْ جملةِ الوعيدِ ظهورُ آثارِ سيِّئاتِهم واستهزائِهم يومَ القيامةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾: يدلُّ أصل الكلمة على القُبْحِ. يُقال: رَجُلٌ أسْوَأُ، أيْ قَبيحٌ، وامْرَأةٌ سَوْآءُ، أيْ قَبيحَةٌ؛ لذلك سُمّيَتِ السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً. وسُمّيَتِ النّارُ سوأى، لِقُبْحِ مَنْظَرِها[2]. وهي صفةٌ مُشبَّهةٌ مِنْ ساءَهُ، إذا فعلَ به ما يكرهُهُ، نقيضُ سرَّهُ[3]. والسّوءُ: كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ مِنَ الأمورِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، ومِنَ الأحوالِ النَّفسيَّةِ والبدنيَّةِ، والخارجةِ مِنْ فَواتِ مالٍ وجاهٍ، وفقدِ حميمٍ، وعُبِّرَ عن كلِّ ما يَقْبُحُ بالسّوأى، ولذلكَ قوبِلَ بالحُسْنَى، والسَّيِّئَةُ: الفَعْلَةُ القبيحةُ، وهي ضدُّ الحسنةِ. وهي المرادةُ هنا.

2) ﴿كَسَبُواْ﴾: (كسب) أصلٌ يدلُّ على طَلَبٍ وإصابةٍ[4]، ومِنْ ذلكَ: الكَسْبُ، وهو ما يطلبُهُ الإنسانُ ممّا فيهِ جلبُ نفعٍ، ككَسْبِ المالِ، وقد يُستعمَلُ فيما يظنُّ الإنسانُ أنَّهُ يجلبُ منفعةً، ثمَّ استجلبَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 458.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سَوُءَ).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سوء).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسب).

بهِ مَضَرَّةً[1]، كما في كسبِ السَّيِّئاتِ، ويقالُ أيضًا: اكتسبَ، إذا تصرَّفَ واجتهدَ[2].

3) ﴿وَحَاقَ﴾: (حيق) أصلٌ يدلُّ على نزولِ الشَّيءِ بالشَّيءِ[3]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: حاقَ بهِ كذا، أي: نزلَ بهِ، وأصابَهُ[4]. حاق به الشّيء يحيقُ؛ أيْ: أحاط به. وحلَّ بهِ[5]. والحَيْقُ ما حاقَ بالإنسان مِنْ مَكْر أو سوء عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فَيَنْزِلُ ذَلِكَ به ويُحيطه[6]. والمرادُ بـ ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ هنا: نزلَ بهِم، وأحاطَ بهِم مِنْ جميعِ الجوانبِ، ووَجَبَ لَهُم[7]، وثبتَ ولزمَ[8].

4) ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (هزأ) أصلٌ يدلُّ على السُّخريةِ[9] والاستخفافِ، ومِنْ ذلكَ يقالُ: استهزأ بهِ يستهزئُ، أي: استخفُّ بهِ[10]، ويُطلَقُ الهُزْءُ أيضًا على المزحِ في خُفيةٍ، والاستهزاءُ: طَلَبُ الهُزْءِ[11]، وهو المرادُ هنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ظهورُ سوءِ المعاصي، وخُسْرانِ الظّالمينَ يومَ القيامةِ

يُخبرُ اللّهُ تعالى عن حالٍ آخرَ مِنْ أحوالِ الظّالمينَ يومَ القيامةِ، فيقولُ: وظهرَ لهؤلاءِ المشركينَ يومَ القيامةِ آثارُ أعمالِهم السَّيِّئةِ الَّتي كسبوها في الدُّنيا، وأحاطَ بهِم العذابُ الَّذي كانوا يسخرونَ منهُ في الدُّنيا، ويستهزؤونَ بهِ[12]، أي بدت لهم الأمور الّتي تسوؤهم، بسبب

(1) الرّاغب، المفردات: (كسب).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (كسب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حيق).
(4) الرّاغب، المفردات: (حيق).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (حيق).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (حيق).
(7) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 185.
(8) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 535.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هزأ).
(10) السمين، عمدة الحفاظ: (هزأ).
(11) الراغب، المفردات: (هزأ).
(12) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 104.

صنيعهم وكسبهم[1]، فالعذاب يحيط بهم من كلّ جانب، ويوقنون بأنّهم لا نجاةَ لهم منه؛ لكفرهم واستهزائِهم بما كان يُنذرُهم به رسولُ الله ﷺ، في الدّار الدّنيا منَ العذاب"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في جملة ﴿وَبَدَا﴾:

أهميّةُ معنى الواو، بين التّفسير والتّقرير

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ لعطفِ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها، وهي بمنزلةِ التَّفسيرِ لهُ، ببيانِ أنَّ ما لم يكونوا يحتسبونَ هو سيِّئاتُ ما كسبوا[3]. ويحتملُ أنْ تكونَ الواوُ للاستئنافِ، والجملةُ مستأنفةٌ مَسوقةٌ لإبرازِ وعيدِهم في أبلغِ ما يكونُ الوعيدُ والتَّهديدُ[4].

سرُّ تكريرِ فعلِ (بدا):

يومُ القيامةِ مآبٌ، تظهر فيه أهوالُ العذاب

كُرِّرَ فعلُ (بدا) في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾، بعدَ ذكرِهِ في قولِهِ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: 47]؛ لزيادةِ التَّنصيصِ على ظهورِ سوءِ عاقبةِ ظلمِ الَّذينَ ظلموا، بظهورِ ما لم يكونوا يحتسبونَ، وظهورِ سيِّئاتِ أعمالِهم، أي "وظهرَ لهم حين تُعرضُ عليهم صحائفُ أعمالهم، ما كانوا اجترحوه منَ السّيئات، وارتكبوه منَ الآثام، وعلموا أنّهم مُجازون على النّقير والقِطمير، وأحاط بهم العذابُ من كلّ جانب، وأيقنوا أنّهم مواقعوه لا محالةَ"[5]، وفي ذلكَ زيادةُ وعيدٍ وتهديدٍ لهُم، تلائمُ مقامَ ذكرِ يومِ القيامةِ الَّذي تُكشَفُ فيه الحقائقُ، وتوضَعُ فيه الموازينُ القِسْطُ.

وعُبِّرَ بالبُدوِّ؛ لأنَّهُ أبلغُ في تفظيعِ حالِ المشركينَ؛ لدلالتِهِ على

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 727.
(2) حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3985.
(3) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 544.
(4) درويش، إعراب القرآن الكريم: 8/ 429.
(5) المراغيّ، تفسير المراغي: 24/ 18.

أنَّ جزاءَ السَّيِّئاتِ قد ظهرَ ظهورًا تامًّا، كأنَّهُ في باديةٍ، بحيثُ يراهُ كلُّ أحدٍ[1].

نكتةُ استعمال الماضي في ﴿وَبَدَا﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾، مَعَ أنَّ هذا البُدوَّ أمرٌ مستقبليٌّ يكونُ يومَ القيامةِ؛ لأنَّهُ مُتحقِّقُ الوقوعِ؛ إذ إخبارُ اللّهِ تعالى لا يتخلَّفُ، فكأنَّهُ قد وقعَ، وأُخبِرَ عنهُ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ الوعيدِ والتَّخويفِ.

ما أخبر به الله مُجلٍّ للعذاب في أقصى مداه

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لَهُمْ﴾:

اللّامُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ للاختصاصِ، فتدلُّ على أنَّ ظهورَ سيِّئاتِ الكسبِ أمرٌ مختصٌّ بهؤلاءِ الظّالمينَ، والمرادُ ظهورُ السَّيّئاتِ على وجهٍ يكونُ فيه خلودُهم في النّارِ.

عُـقْبَى الظّالمينَ الـهـلاكُ، حين لايُجدي الإدّراكُ

غرضُ تقديمِ شبْهِ الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

قُدِّمَ شِبْهُ الجملة ﴿لَهُمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّمِ والتَّشويقِ للمُؤخَّرِ، وتعجيلِ المساءةِ، وتقويةِ اختصاصِ الظّالمينَ بظهورِ سيِّئاتِ الكسبِ لهُم، على وجهِ الإهلاكِ والتَّخليدِ في النّارِ، " يوم يَرونَ بأعينهم ما لم يَخطرْ لهم على بال منَ العذاب الأليم، وتظهرُ لهم سيّئاتُهم الّتي عملوها في الدّنيا، ويحيطُ بهم ما كانوا به يستهزئون"[2]، وفي ذلك غايةُ التّهويل، ودقّةُ الإبانة والتّعليل.

الـظّـالـمـونَ أهـلُ الـويـلِ والـثُّـبـورِ، ولـهـم الـعـذابُ المذكورُ

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظ (السَّيِّئاتِ):

عُبِّرَ بالسَّيِّئاتِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ الشِّركَ وغيرَهُ منَ المعاصي ممّا يَسوءُ صاحبَهُ، ويُلحِقُ

الـفـعـلُ الـسّـيّئ المرتكَبُ، مَدعاةٌ للخِزي والعَتب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 527.
(2) القطّان، تيسير التّفسير: 3/ 176.

به الأذى والغمَّ يومَ القيامةِ؛ إذ يجعلُهُ عُرْضةً لغضبِ اللهِ وسَخَطِه، وفي ذلكَ مُلاءمةٌ لمقامِ الوعيدِ والحثِّ على هَجْرِ الشِّركِ والآثامِ.

بلاغةُ السَّيِّئاتِ بينَ المُشاكلةِ والمجازِ:

بيانُ أنّ السَّيِّئاتِ هي أنواعُ العذابِ المَسوقِ في الآيات

يحتملُ أنْ يرادَ بالسَّيِّئاتِ في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أنواعُ العذابِ الَّتي يُجازَوْنَ بها، سُمِّيَتْ سيِّئاتٍ على سبيلِ المشاكلةِ[1]، أو على أنَّهُ تُجوِّزَ بالسَّيِّئاتِ عمّا تسبَّبَ عنها[2] على سبيلِ المجازِ المرسَلِ، بذكرِ السَّببِ وإرادةِ مسبَّبِهِ[3]. ويمكنُ حَمْلُ الكلامِ على حذفِ مُضافٍ تقديرُه: (حاق بهم جزاءُ ما كانوا به يستهزئون)[4].

دلالةُ المعنَى بتقديرِ المضافِ:

فنونُ العقابِ، هي آثارُ السَّيِّئاتِ في سياقِ الخطاب

ويحتملُ أنْ يكونَ المعنى: وظهرَتْ لهُم آثارُ تلكَ السَّيِّئاتِ الَّتي اكتسبوها، وهذهِ الآثارُ هي أنواعٌ مِنَ العقابِ[5]، فيكونُ الكلامُ على تقديرِ مضافٍ[6]. والمعنى: "حاق بهم جزاءُ ما كانوا به يستهزئون"، والمعنى: بَدا لَهُمْ مِنَ العالمِ بخفايا الأمورِ، أشياءٌ لَمْ يَكونوا يظنّونها، ولا تخطر ببالهم، ولا يتوقّعونها، لأنّها عذابٌ فوق التّخمين والحسبان وحديثِ النّفس، ونظيرُ ما أوعدَ به الكافرين، ما وعد اللّه به المؤمنين، في قوله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السّجدة: 17][7].

وجهُ تأنيثِ لفظِ (السَّيِّئاتِ):

تغليبُ الأفعالِ على الاعتقادِ، مُبرِزٌ للمعنى المُستفاد

تأنيثُ السَّيِّئاتِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾، باعتبارِ شهرةِ إطلاقِ السَّيِّئةِ على الفَعْلةِ، وإنْ كانَ فيما كَسَبوهُ ما هو مِنْ فاسدِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 133، والخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 342.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 342.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 267.
(4) ابن عطيَّة، المُحَرَّر الوجيز، ص: 535.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 458.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 267.
(7) العاني، بيان المعاني: 3/ 546.

الاعتقادِ، كاعتقادِ الشُّركاءِ للّهِ، وإضمارِ البُغضِ للرَّسولِ والصّالحينَ، والأحقادِ والتَّحاسدِ، فجرى تأنيثُ الوصفِ على تغليبِ السَّيِّئاتِ العمليَّةِ، كالغصبِ والقتلِ والفواحشِ، تغليبًا لفظيًّا لكثرةِ الاستعمالِ[1].

دلالةُ الأداةِ ﴿مَا﴾:

احتمالُ الموصوليَّةِ والمصدريَّةِ، تنوّعٌ في الدّلالة السّياقية

تحتملُ ﴿مَا﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أنْ تكونَ موصولةً بمعنى الَّذي، أي: سيِّئاتُ أعمالِهم الَّتي كسبوها، وأنْ تكونَ مصدريَّةً، أي: سيِّئاتُ كسبِهم[2]. على أنَّ المرادَ بالكسبِ الحاصلُ بالمصدرِ، أي: سيِّئاتُ مكسوبِهم، فالمآلُ واحدٌ[3].

نكتةُ الإضافةِ في ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾:

كسبُ الكفرةِ موصوفٌ بالسّيئات المنكرة

الإضافةُ في قولِهِ تعالى: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾، على معنى (مِنْ)، أو اللّام[4]، أي: سيِّئاتٌ ممّا كسبوا، أو سيِّئاتٌ لِما كسبوا، ويحتملُ أنْ يكونَ مِنْ إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوفِ، أي: وبدا لهُم مكسوباتُهم السَّيِّئاتُ[5].

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿كَسَبُواْ﴾:

اكتسابُ السيِّئاتِ الموبقةِ مُفضٍ إلى العقوبة المتُحقِّقة

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ ﷻ: ﴿كَسَبُواْ﴾؛ لأنَّ هذا الكسبَ أمرٌ قد مضَى وتحقَّقَ قبلَ زمانِ جزائِهم، وفي ذلكَ إقامةٌ للحُجَّةِ عليهِم، بأنَّ اللّهَ تعالى يُجازيهم على ما تحقَّقَ منهُم فعلُهُ، ولا يظلمُ ربُّكَ أحدًا.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ:

حذفُ ضميرِ الصِّلةِ، إيجازٌ مُتَّبعٌ

على الرأي القائل إنَّ ﴿مَا﴾ في قولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ موصولةٌ؛ فالتَّقديرُ: سيِّئاتُ ما كسبوهُ، وقد حُذِفَ المفعولُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 33 - 34.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 209، والسّمين، الدّر المصون: 9/ 432.
(3) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 544.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 267.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 33.

- وهو ضميرُ الهاءِ - إيجازًا؛ لشيوعِ حذفِ الضَّميرِ الرّاجعِ إلى الموصولِ مِنْ جملةِ الصِّلةِ.

دلالةُ الواوِ في جملة ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، لعطفِ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها. ويحتملُ أنْ تكونَ استئنافيَّةً. وأيًّا ما كانَ ففي هذهِ الجملةِ بيانُ جزاءٍ آخرَ للظّالمينَ يومَ القيامةِ، وهو أنَّهم ينزلُ بهم عقابُ استهزائِهم بالحقِّ وأهلِهِ في الدُّنيا.

كثرةُ ويلاتِ الظّالمينَ، ملمحٌ بارزٌ لهم يومَ الدّين

بلاغةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَحَاقَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، معَ أنَّ نزولَ العذابِ بهم أمرٌ مستقبلٌ يكونُ يومَ القيامةِ؛ لأنَّهُ مُتحقِّقُ الوقوعِ؛ إذ إخبارُ اللّهِ تعالى لا يتخلَّفُ، فكأنَّهُ قد وقعَ، وأُخبِرَ عنهُ، وفي ذلكَ مزيدُ تقويةٍ لِما تشتملُ عليه الآيةُ مِنَ التَّهديدِ والتَّخويفِ.

مناسبةُ الماضي لحتميّةِ نزولِ العذابِ بالظّالمينَ يومَ القيامةِ

دلالةُ (الباءِ) في ﴿بِهِم﴾:

الباءُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ للتَّعديةِ، أو للإلصاقِ، فتفيدُ أنَّ نزولَ العذابِ بهم قدِ اقترنَ بالإحاطةِ مِنْ جميعِ الجوانبِ، حتَّى كأنَّهُ التصقَ بهم، فلا انفكاكَ لهُم عنهُ، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أي نزل بهم.. ومعنى هذا أنّ الحقّ الّذي كانوا يَستهزئون به، قد جاء ليُحاكمَهم، وليقتصَّ منهم لجنايتهم الّتي جنَوها عليه، بالانتصار للباطل، ومحاربةِ أولياء الحقّ"[1].

العذابُ محيطٌ بالظّالمينَ المُجانِفين للحقّ المُستبين

نكتةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿بِهِم﴾:

قُدِّمَ ﴿بِهِم﴾ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ للاهتمامِ بوقوعِ الإحاطةِ عليهم، وتعجيلِ مُساءتِهم، والتَّشويقِ للمُؤخَّرِ، ولأنَّهُ لو أُخِّرَ لاختلَّ تلاؤمُ الفواصلِ.

الظّالمونَ جديرونَ بالمُساءةِ وسوءِ المصير

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 12/ 1174.

دلالةُ الأداة ﴿مَّا﴾:

احتمالُ الموصوليَّةِ والمصدريَّةِ مفيدٌ في اتّساعِ الدّلالة

تحتملُ ﴿مَّا﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أنْ تكونَ موصولةً، أي: وحاقَ بهِم الَّذي كانوا يستهزؤونَ بهِ. ويحتملُ أنْ تكونَ مصدريَّةً، أي: وحاقَ بهِم استهزاؤُهم[1].

بلاغةُ إسنادِ الحَوْقِ إلى ﴿مَّا﴾:

سوءُ نظرِ الظّالمينَ مُستفادٌ من معنى (ما) في السّياق

يحتملُ أنْ يكونَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ حذفُ مضافٍ، أي: جزاءُ هُزْئِهم[2]، وهو العذابُ، أو جزاءُ الَّذي كانوا بهِ يستهزؤونَ[3]، فيكونُ في الكلامِ إيجازٌ بالحذفِ.

وإذا كانَتْ ﴿مَّا﴾ موصولةً فيحتملُ أنْ يكونَ قد عُدِلَ عنِ اسمِ العذابِ الصَّريحِ إلى الموصولِ؛ للتَّنبيهِ على ضلالِهم وسوءِ نظرِهم، حيثُ استهزؤوا بالحقِّ، فعرَّضوا أنفُسَهم لعذابِ اللّهِ.

نكتةُ إدخالِ (كانَ) الماضي على المضارعِ:

بيانُ أنّ الاستهزاءِ بالحقِّ أمرٌ راسخٌ ومُتجدّدٌ

أُدخِلَ فعلُ الكونِ الماضي على المضارعِ، في قولِهِ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، ولم يُقَلْ: (وحاقَ بهِم ما بهِ استهزؤوا)؛ للدَّلالةِ على رُسوخِ هذا الاستهزاءِ في الكفرةِ، وأنَّهُ كانَ فيهِم طَبْعًا وجِبِلَّةً[4]، وأنَّهم كانوا مُستمرّينَ عليهِ، مُجدِّدينَ لهُ، كما هو مُقتضَى صيغةِ المضارعِ في قولِهِ: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وكأنَّ الاحتقارَ للحقِّ والاستهزاءَ بهِ لم يُفارِقْهم يومًا واحدًا في حياتِهم الدُّنيا. يضافُ إلى ذلكَ ما يترتَّبُ على التَّعبيرِ بالمضارعِ مِنْ مراعاةِ تلاؤمِ الفواصلِ.

دلالةُ الضّمير على الاستعارة المكنيّة:

الاستهزاءُ بالعذابِ القريبِ من أعجبِ التّكذيبِ

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ للتَّعديةِ، والمستهزَأُ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 267.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 133.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 535.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 527.

بهِ هو عذابُ الآخرةِ، أي: يستهزؤونَ بذكرِهِ، تنزيلًا للعقابِ منزلةَ مُستهزَأٍ بهِ، فيكونُ الضَّميرُ المجرورُ استعارةً مكنيَّةً.

ويحتملُ أنْ تكونَ الباءُ للسَّببيَّةِ، ويُجعَلَ مُتعلَّقُ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ محذوفًا، أي: يستهزؤونَ بالنَّبيِّ ﷺ بسببِ ذكرِهِ العذابَ[1].

بلاغةُ تقديمِ ﴿بِهِۦ﴾ في السّياق:

قُدِّمَ ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ في قولِ الباري جلَّ ذكرُهُ: ﴿كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ للاهتمامِ بهِ[2]، والتَّنبيهِ على مسارعةِ الظّالمينَ في الاستهزاءِ بالحقِّ، وفي ذلكَ مِنْ تقبيحِ حالِهم ما لا يخفَى.

مسارعةُ الظّالمينَ في الاستهزاءِ بالحقِّ، من سوء التّقدير

بلاغةُ صيغةِ الاستفعالِ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ الاستفعالِ، في قولِهِ تعالى: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، على غايةِ حرصِ الظّالمينَ على الاستهزاءِ بالعذابِ، وشدَّةِ طلبِهم لذلكَ[3]، وفي ذلكَ مزيدُ تخسيرٍ وتحسيرٍ لهُم، يلائمُ الدَّلالةَ على الاستمرارِ كما تقدَّمَ، والعاقلُ ليسَ مِنْ شأنِهِ طلبُ ما فيهِ هلاكُهُ، فكيفَ إذا جدَّ في الطَّلبِ، وحرصَ عليهِ؟!

الاستهزاءُ بالحقِّ خسارٌ أكيدٌ ومآلٌ مُبيدٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 34.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 34.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 527.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»